

السبعة الذين تكلموا في المهد

دار الفجر للتراث
القاهرة

د. مصطفى مراد

السبعة الذين تكلموا فى المهد

إعداد
الدكتور مصطفى مُراد
عضو هيئة التدريس - جامعة الأزهر

دار الفجر للتراث
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة
لدار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر . القاهرة
ت : ٠١٠١٤٦٣١٢٣

رقم الإيداع
٩٩ / ١٧٩٢٨

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

يطلب من دار الفجر

خلف الجامع الأزهر . القاهرة
ت : ٠١٠١٤٦٣١٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام السيوطي :

تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
وَمُبَرِّئُ جُرِيحٍ ثُمَّ شَاهِدَ يُوسُفَ
وَمَاشِطُهُ فِي عَهْدِ فِرْعَوْنَ طِفْلُهَا
وَيَحْيَى وَعِيسَى وَالْخَلِيلُ وَمَرْيَمُ
وَطِفْلٌ لَدَى الْأَخْدُودِ يَرْوِيهِ مُسْلِمٌ
وَفِي زَمَنِ الْهَادِي الْمُبَارَكِ يَخْتَمُ

وزاد بعضهم :

وَطِفْلٌ عَلَيْهِ مَرًّا بِالْأَمَةِ الَّتِي
يُقَالُ لَهَا تَزْنِي وَلَا تَكَلَّمُ

وزاد بعضهم :

وَنُوحٌ يَبْطِنُ الْغَارَ فِي يَوْمٍ وَضَعَهُ
وَمُوسَى مِنَ التَّنُورِ وَالنَّارُ تَضْرَمُ

وقال ابن الشافعي :

تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ طَه كَذَا
وَشَاهِدَ يُوسُفَ ، مَبْرِي جُرِيحٍ
وَطِفْلُ ابْنِ مَاشِطَةٍ قَدْ غَدَتِ
وَطِفْلٌ عَلَيْهِ أَتَوْا بِالْأَمَةِ
كَذَا فِي عَهْدِ خَيْرِ الْوَرَى
خَلِيلٌ وَيَحْيَى وَعِيسَى وَمَرْيَمُ
وَطِفْلٌ لَدَى النَّارِ مَا تَضْرَمُ
لِفِرْعَوْنَ فِيمَا مَضَى مِنْ أُمَمٍ
يَقُولُونَ تَزْنِي وَلَمَّا تَكَلَّمَ
مُبَارَكُهُمْ وَبِهِ يَخْتَمُ^(١)

(١) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٦٤) ط : الدار الثقافية / بيروت .

المقدمة

الحمد لله: كل سابق انتهى إلى أوليته ، وكل آخر انتهى إلى آخريته ، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر ، وأحاطت ظاهرته وباطنيته بكل ظاهر وباطن ، فما من ظاهر إلا والله فوقه ، ومن من باطن إلا والله دونه ، وما من أول إلا والله قبله ، وما من آخر إلا والله بعده .

فالأول قدمه ، والآخر دوامه ، وبقاؤه ، والظاهر علوه وعظمته ، والباطن قربه ودنوه ، فسبق كل شيء بأوليته ، وبقي بعد كل شيء بآخريته ، وعلا على كل شيء بظهوره ، ودنا من كل شيء ببطونه ، فلا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ، ولا يحجب عنه ظاهر باطناً ، بل الباطن له ظاهر ، والغيب عنده شهادة ، والسر عنده علانية .

سبحانه العالي على كل شيء المحيط بكل شيء ، أحسن خلقه كل شيء ، وأتقن سبحانه كل شيء ، له حكمة بالغة في كل شيء ، هو الأول فسبق على كل شيء ، وهو الآخر فبقى بعد كل شيء .

سبحانه يُعَوِّض عن كل شيء سواء ، ولا يُعَوِّض منه شيء ، ويُغني عن كل شيء ، ولا يُغني عنه شيء ، ويمنع من كل شيء ، ولا يمنع منه شيء ، ويُجبر من كل شيء ، ولا يُجبر منه شيء .

سبحانه فوق كل شيء ، وليس تحته شيء ، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء ، ليس كمثله شيء .

سبحانه أحسن تدبير الكائنات ، فخلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفُرات من المعصرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات .

سبحانه خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال .

ثم غذاه في أول نشوئه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغ كالماء الزُّلال ، ثم حماه بما أناه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال .

سبحانه . تُسَبِّحُ له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتتدكدك من هيئته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال .

وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ، ثم كحل بصره المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضياته حضرة الجلال .

فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ما استقبح دون مبادئ إشراقه كل حُسن وجمال ، واستثقل كل ما صرفه مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال .

وأشهد أن لا إله إلا الله صاحب الجلال والكمال والبهاء والجمال .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى أصحابه والآل .

أما بعد :

فإن الله على كل شيء قدير ، لا شيء يعوزه ولا جبار يقهره ، ولا تقف قدرته عند حد معلوم ، أو تنتهى محدود ، فليس لقدرته نهاية ، وإنما تنطلق قدرته في كل زمان ومكان انطلاقاً يُغير كل نظام ، ويُبدد كل ظلام ، ويُحير كل الأنام ، حتى تقول قلوبهم :

يا خالق الأكوان كيف كسوتها	حُسناً وهذا الملك كيف يُقام
يا فالق الحب المخبأ والنوى	بم قد فلقت الحب يا علام
يا عالم الأسرار علم حقيقة	وله بكل خفية إلام

أترى أنَّ قدرته انتهى عملها؟! لا وألف لا ، إنما قدرته تجري بانطلاقة باهرة ،
وطلاقة ظاهرة .

- خذ مثلاً :

خلق الله البشر جميعاً من أب وأم إلا أنَّ طلاقه قدرته لا تقف عند هذا الحد

* فقد خلق إنسان لا أب ولا أم ، إنه آدم صلى الله عليه وسلم .

* وخلق إنساناً بلا أم ، إنها حواء عليها السلام .

* وخلق إنساناً بلا أب وله أم ، إنه عيسى صلى الله عليه وسلم .

ووصل إلى سمعي أنه حدث في مصر أنَّ رجلاً حملت زوجته جنيناً ، فاحتار
الرجل في رغبته أن يكون الجنين ذكراً أو أنثى ، إن كان ذكراً فمشقاته كذا وكذا
وإن كانت أنثى فهمومه كذا وكذا ، وإذا بالجنين يخرج من بطن أمه لا ذكراً ولا
أنثى ، وإنما الجنين قطعة لحم مكتوب عليها [خَلَقْنَا فَشَكَّلْ] .

وأنا لا أنسى هذا الحدث العظيم في ختام القرن العشرين^(١) .

خلاصة هذا الأمر العجيب العُجاب أنَّ الإنسان منذ وجد على ظهر البسيطة لا
يعيش إلا بالماء ، وإن فقد الماء فقد حياته ، وكذا الحال مع الحيوان والنبات ، فلا
يوجد إنسان أو حيوان أو نبات إلا والماء ضرورة لحياته إلا أنَّ طلاق القدرة الإلهية
تخلق إنساناً يعيش بدون الماء .

إنه رجل اسمه : عباس حلمي من مصر ، إن شرب الماء أصابه التعب
والإعياء ويحدث له قيء ، ثم نزيف من الأنف ، وهذا الرجل يستعيض عن الماء
بشراب الشاي ونحوه والمياه الغازية .

وهذا الرجل أجهزته سليمة مائة بالمائة . كما قال الأطباء ، فليس هذا مرضاً
نفسياً أو تعباً بدنياً .

وكذا أولاده حالهم قريب من حاله فسبحان القادر !!

وهل أذاك أن رجلاً شرطياً في كينيا كان يعترض زوجة في الطريق ويراجعها بكلام الحب والعشق حتى رقت وجلست منه مجلس الرجل من زوجته ، وانتهى الأمر بالجريمة النكراء التي تهتز لها السماء ، وبعد الفراغ من الحرام ، قاما ليذهب كل واحد إلى سبيله ، فإذا بالجنسدين قد التصقا ، يحاولان الانفصال ، ولكن قدرة الله - تعالى - حالت دون هذا الأمر ، وظل الأمر كما هو حتى حضر الناس ورأوا هذا المشهد الجنسي ، وحاول الحاضرون أن يفصلوا الرجل عن المرأة ولكنهم عجزوا ، فأرسلوا إلى الأطباء ، وعجز الأطباء أيضاً ، فأرسلوا إلى الشرطة ، وعجز الشرط فسبحان القادر المُقْتَدِر

وقد رأيت بعيني مخلوقاً من البشر طفلة صغيرة خلق الله - عز وجل - لها رأسين ، وجسد واحد وإليك العجب العُجاب لو ترى عينناكا !!!

وإن تعجب فعجب ما جاء عن ابن خُلَكان أنه قال : بلغنا من جماعة يوثق بهم أن عندهم قرية يقال لها دير أبي سلامة ، كان بها رجل من العربان ، فيه استهتار رائد وجهل فجرى يوماً ذكر السواك وما فيه من الفضيلة فقال :

والله ما أستاذك إلا من المخرج (الدبر) فأخذ سواكاً وتركه في دُبْره ، فأله تلك الليلة ثم مضى عليه تسعة أشهر ، وهو يشكو من ألم البطن والمخرج ثم أصابه مثل طلق الحامل ، ووضع حيواناً على هيئة الجزذون ، ورأسه مثل رأس السمكة ، وله أربع أنيات بارزة ، وذنب طويل ، وأربع أصابع ، وله دبر مثل دبر الأرنب ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاثاً صيحات ، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات وعاش ذلك الرجل بعده يومين ، وهو يقول : هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي ، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من تلك الناحية وخطيب المكان عام ٦٦٥هـ.

وتأمل في الأسباب والمسببات تجد أن الله - عز وجل - جعل المسببات مرتبطة

بالأسباب ، فمن أدى الأسباب نال المسببات ، وكلما زاد اتقاناً في الأسباب جاءته
المسببات على مقدار اتقانه للأسباب .

فمن ذاكر نجح

ومن زرع حصد

إلا أن حرية القدرة الإلهية جاءتنا بالعجب والعُجاب .

فبالأسباب والمسببات بيد الله - وحده- يغيرها ويقلبها كيف يشاء ، فإذا كان
النظام السائد أن المسببات تتبع الأسباب ، إلا أن طلاقة القدرة جعلت المسببات
تأتي بلا أسباب .

هذه مريم - عليها السلام - في المسجد الأقصى ، وليس عندها طعام ، وإذا
بالطعام ينزل عليها ، وأي طعام !!! إنه فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء
في الصيف .

ودخل عليها زكريا - عليه السلام - متعجباً ومندهشاً قائلاً : ﴿ يا مريم أني لك
هذا ﴾ . قالت : ﴿ هو من عند الله ﴾^(١) .

قد نمشي في الصحراء فتجد نباتاً مثمرًا ، وتتساءل من الذي بذر ؟ من الذي
زرع ؟ من الذي جاءه بالماء ؟

أين الأسباب ؟ إنها قدرة الله . أقامت المسببات بلا أسباب ، وللأسف تجد
الإنسان الغافل الساهي الناسي يقول : هذا نبت شيطاني !! يا سبحان الله .

رزقه المسببات بلا أسباب منه ثم ينسب هذا الخير العظيم للشيطان الرجيم .

ولا زالت القدرة تعطي أكلها كل حين فتجعل الأسباب بلا مسببات .

هذا هو خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يجمع مشركي
قومه على أن يلقوه في النار ، وما أدراك ما هذه النار ، إنها نار يمكن أن تحرق

١٠ المتكلمون في المهد

الدنيا كلها ، لقد أعدوا لها إعداداً كبيراً ، حتى كان الطير في السماء إذا مرَّ بهذه المنطقة يحترق وهو طائر في السماء والمتصور ، أن مثل هذه النار تحرق إبراهيم عليه السلام من أول غمسة ، ولكن ربك - جلَّ وعز - يأمر المسبيات بعدم العمل ، وكان هذا يوم الراحة عند المسبيات ، يُلقى إبراهيم - عليه السلام - في سواء الجحيم ، وكأنه داخل جنات النعيم يجلس سعيداً مبتسماً والنار من حوله هنا وهناك ، لا تقترب منه ولا تمسه بأذى سوء ، لقد جاءها نداء القهار الجبار ﴿يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾^(١) .

فسمعت النار وأطاعت ، وأذنت لربها وحقت ، وحقَّ لها أن تطيع .
ويستمر سيدنا إبراهيم فترة طويلة وسط النيران المؤججة ، لك أن تتصور طول المدة بكراهية القوم للتوحيد .

وأيا كانت هذه المدة أسبوعاً أو شهراً أو أربعين يوماً ، فإنَّ إبراهيم - عليه السلام - لم يصب بسوء ، فالنار لا تعمل إلا بقدره الله - عز وجل - .

وعجبية أخرى من الذي كان يُرسل إليه الطعام والشراب في هذا السجن الناري لقد كان ربه يُطعمه ويسقيه ﴿والذي هو يُطعمُنِي وَيَسْقِينِي﴾^(٢) .

وهؤلاء مشركون مكة يقصون أثر النبي - صلى الله عليه وسلم - في حادث الهجرة ، ويتبعون أثر خطواته حتى وصلوا إلى الغار ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه - رضي الله عنه - داخل الغار ، وكان على المشركين أن يقتحموا الغار ، فقد أخذوا بالأسباب في أتم صورة ، إلا أن ربك سبحانه ألغى المسبيات في هذا الموقف ، ورجع القوم خاسرين صفر اليدين . إنها قدرة الله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣) .

(١) سورة الأنبياء : [٦٩] .

(٢) سورة الشعراء : [٧٩] .

(٣) سورة التوبة : [٤٠] .

التكلمون في المهد (١١)

إنني أقدم هذه الأمثلة ونحوها لهذا المخلوق المؤمن حتى يزداد إيماناً ، ولهذا المخلوق الكافر الذي أثر الجحود حتى يرجع ويعود إلى توحيد المعبود .

قرأت السطور التالية عن تعلق الأوربيين بالفنون الجميلة ، ثم ضربت كفاً بكف من شدة العجب للضلال المبين الذي استولى على أفئدة هؤلاء الذاهلين ، وهاكم ما جاء في كتاب الثقافة الإسلامية للأستاذ محمد مرمادوك بكتال قال : « لا شك أن بعضكم يذكر البحث الذي أوردته الصحف البريطانية من سنوات ، كان السؤال : لنفرض أن تمثالاً يونانياً شهيراً جميلاً فريداً في نوعه ، وهو من أجل ذلك لأيعوض ، كان في غرفة واحدة مع طفل حي ، ثم اندلعت النيران في الغرفة ولم يكن في الإمكان إلا إنقاذ واحد من الاثنين ، إما التمثال وإما الطفل فأيهما يجب إنقاذه ؟

إن كثرة عظمة من الذين أجابوا على هذا السؤال في رسائلهم إلى الصحيفة من الرجال ذوي الثقافة والمكانة المرموقة قالوا : - حسب ما أذكر - أنه يجب إنقاذ الشمال وترك الطفل يهلك !!

وكان حجتهم في ذلك أن ملايين الأطفال يولدون يومياً على حين أن هذا التمثال لا يمكن تعويضه ، فإنه عمل فني عظيم من تراث اليونان .

أرأيت كفراً أقبح من هذا الكفر ؟ وإهانة للإنسانية أبشع من هذه الإهانة .

حجر يستنقذ وطفل رقيق وديع يُترك حطباً للنار ؟!

المثير في هذه القضية أن مصوراً يرسم على الورق منظر الشروق أو الغروب بمهارة تحاكي الأصل أو تومئ إليه يعد فناً جديراً بالإشارة والتقدير .

أما صاحب الأصل نفسه ، أمّا فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حُسباناً ، فهو يُنسى أو يُجحد ، ولا توجه إليه عبارة ثناء !^(١) .

(١) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (٩٣ ، ٩٤) .

سبحانك يا خالق كل شيء سبحانك يا الله :

- ١- بك أستجير ومن يجير سواكا فأجر ضعيفاً يحتمى بحماكا
- ٢- إني ضعيف أستعين على قوى ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا
- ٣- أذنبت يا ربي وأذنتني ذنوبٌ منا لها من غافر إلأكا
- ٤- دنياي غرتني عفوك غرتني ما حيلتي في هذه أو ذاكما
- ٥- لو أن قلبي شك لم يك مؤمناً بكريم عفوك ما غوى وعصاكا
- ٦- يا مدرك الأبصار والأبصار لا تدري له ولكنهم إدراكا
- ٧- أتراك عين والعيون لها مدى ما جاوزته ولا مدى لمداكا
- ٨- إن لم تكن عيني تراك فإنني في كل شيء أستبين علاكا
- ٩- يا منبت الأشجار عاطرة الشذي هذا الشذي الفواح نفع شذاكا
- ١٠- يا مُرسِلَ الأطيار تصدحُ في الربا صدحاتها إلهام موسيقاكا^(١)
- ١١- يا مجرى الأنهار ما جريانها إلا انفعالة قطرة لنداكا
- ١٢- ربَّاهُ ها أن ذا خلصت من الهوى واستقبل القلب الهوى هواكا
- ١٣- وتركت أنسي بالحياة ولهوها ولقيت كل الأنس في نجواكا
- ١٤- ونسيتُ حُبِّي واعتزلتُ أحبتي ونسيت نفسي خوف أن أنساكا
- ١٥- ذقت الهوى مرّاً ولم أذق الهوى يا رب حلواً قبل أن أهواكا
- ١٦- أنا كنت يا ربي أسير غشاوةً دانت على قلبي فضل سناكا
- ١٧- واليوم يا ربي مسحت غشواتي وبدا أن بالقلب البصير أراكا
- ١٨- يا غافر الذنب العظيم وقابلاً للتوب قلب تائب ناجاكا

- ١٩- أترده وترد صادق توبتي حاشاك ترفض تائبًا حاشاكا
- ٢٠- فليرض عني الناس أو فليستخطوا أنا لم أعد أسمى لغير رضاكا
- ٢١- يارب جئتك نادمًا أبكي على ما قدمته يداي لا أتبأكا
- ٢٢- أنا لست أخشى من لقاء جهنم وعذابها لكنني أخشأها
- ٢٣- أخشى من العرض الرهيب عليك وأخشى منك إذ ألقاك
- ٢٤- يارب عدت إلى رحابك تائبًا مستسلمًا مستمسكًا بعراكا
- ٢٥- مالي ومال الأغنياء وأنت يارب الغني ولا يحدُّ غناكا
- ٢٦- مالي ومال الأقوياء وأنت يا ربي ورب الناس ما أقواكا
- ٢٧- مالي وأبواب الملوك وأنت من خلق الملوك وقسم الأملاك
- ٢٨- إني أويت لكل مأوى في الحياة فما رأيت أعز من مأواكا
- ٢٩- وتلمست نفسي السبيل إلى النجاة فلم تجد منجي سوى منجاكا
- ٣٠- وبحثت عن سر السعادة جاهدًا فوجدت هذا السر في تقواكا
- ٣١- أدعوك يارب لتغفر حوبتي وتعينني وتمدني بهداكا
- ٣٢- فاقبل دعائي واستجب لرجاوتي ما خاب يومًا من دعا ورجاكا
- ٣٣- يارب هذا العصر أُلحد عندما به سخرت يا رب له دنياكا
- ٣٤- علمته من علمك النووي ما علمته فإذا به عاداكا
- ٣٥- ما كاد يطلق للعلا صاروخه حتى أشاح بوجهه وقلاكا
- ٣٦- واغتر حتى ظن أن الكون بيمني بني الإنسان لا يئناكا
- ٣٧- أو ما يرى الإنسان أن جميع ما وصلت إليه يده نعمماكا

- ٣٨- أو ما دري الإنسان أنك لو أردت لظلمت الذرات في مخابكا
- ٣٩- لو شئت يا ربي هوى صاروخه أو لو أردت لما استطاع حراكا
- ٤٠- يا أيها الإنسان مهلاً واتند واشكر لربك فضل ما أولاك
- ٤١- واسجد لمولك القدير فإنما مستحدثات العلم من مولاكا
- ٤٢- الله ميزك دون سائر خلقه وينعمة العقل البصير حباكا
- ٤٣- إن النواة الاكترونات التي تجري يراها الله حين يراكـ
- ٤٤- ما كنت تقوي أن تفتت ذرة منها لولا الله قد قواكا
- ٤٥- كل العجائب صنعة العقل الذي هو صنعة الله الذي سواكا
- ٤٦- والعقل ليس بمدرك شيئاً إذا ما الله لم يكتب له الإدراكا
- ٤٧- لله في الأفاق آيات لعل أقلها ما هو إليه هداكا
- ٤٨- ولعل ما في النفس من آياته عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكا
- ٤٩- والكون مشحون بأسرارٍ إذا حاولت تفسيراً لها أعياكا؟
- ٥٠- قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداكا؟
- ٥١- قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
- ٥٢- قل للبصير وكان يحذر حفرة فهوى بها من الذي أهواكا؟
- ٥٣- بل سائل الأعمى خطا بين الزحام بلا اصطدام من يقود خطاكا؟
- ٥٤- قل للجنين يعيش معزولاً بلا راعي ومرعى من الذي يرعاكا؟
- ٥٥- قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء لدي الولادة ما الذي أبكاكا؟
- ٥٦- وإذا ترى الثعبان ينث سمة فاسأله : من الذي بالسموم حاشاك

المتكلمون في المهد

(١٥)

- ٥٧- واسأله كيف تعيش يا تُعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاكاً؟^(١)
- ٥٨- واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاكاً؟
- ٥٩- بل سائل اللبن المُصفى كان به ين دم وفرث : ما الذي صفاكاً؟
- ٦٠- وإذا رأيت الحى يخرج من حنايا ميت فاسأله : من أحياكاً؟
- ٦١- قل للهواء تحسه الأيدي ويخ ورعاية من بالجفاف رماكاً؟
- ٦٢- قل للنبات يجف بعد تعهد وحده فاسأله من أرباكاً؟
- ٦٣- وإذا ترى الثب في الصحراء يربو^(٢) أنواره فاسأله من أسراكاً؟
- ٦٤- وإذا رأيت البدر يُسري ناشراً أبعد كل شيء ما الذي أدناكاً؟
- ٦٥- واسأل شعاع الشمس يدنو وهي بالمر من دون الثمار غذاكاً؟
- ٦٦- قل للمرير من الثمار من الذي فاسأله : من يا نخل شق نواكاً؟
- ٦٧- وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأل لهيب النار من أدراكاً؟
- ٦٨- وإذا رأيت النار شب لهيبها قمم السحاب فسله من أرساكاً؟
- ٦٩- وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً فسله من بالماء شق صفاكاً؟
- ٧٠- وإذا ترى صخرًا تفجر بالمياه فسله من الذي أجراكاً؟
- ٧١- وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال جرى طغى ، فسله من الذي أطفأكاً؟
- ٧٢- وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج فاسأله من باليل حاك دجاكاً؟
- ٧٣- وإذا رأيت الليل يُغشي داجياً فاسأله من ياصبح صاغ ضحاكاً؟
- ٧٤- وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحياً

(١) فمك .

(٢) ينمو .

- ٧٥- وإذا ترى ابن البيض أسود
٧٦- وإذا ترى ابن السود أبيض
٧٧- هذي عجائب طالما أخذت بها
٧٨- والله في كل العجائب مائل^(١)
٧٩- يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي
٨٠- حاذر إذا تقريراً الفضاء
٨١- اغز الفضاء ولا تكن مستعمراً
٨٢- إياك أن ترفي بالاستعمار في
٨٣- إن السماوات العلا حرم طهر
٨٤- اغز الفضاء ودع كواكبه سوابح
٨٥- إن الكواكب سوف تفقد رشدنا
٨٦- والجازبية سوف يفسد أمرها
٨٧- ولسوق تعلم أن في هذا قيام
٨٨- أنا لا أثبط من جهود العلم
٨٩- لكنني لك ناصح فالعلم
٩٠- سخر نشاط العلم في حقل الرخاء
٩١- سخره بملأ بالسلام والتعاون
٩٢- وادفع به شر الحياة وسوئها
٩٣- العلم إحياء وإنشاء وليس
- فاحمًا فاسأله من بالسواد طلاكا؟
ناصرًا فاسأله من بالبياض زماكا؟
عيناك وانفتحت بها أذناكا
إن لم تكن لتراه فهو يراكا
بالله- جل جلاله- أغراكا
فرمما ثار الفضاء لفة مهزاكا
أو مستعلاً باغياً سفاكا
حرم السماوات العلا إياكا
يحرق المستعمر الأفاكا
إن في تعويقهن هلاكا
وتحطم الأبراج والأفلاكا
وتسئ عقباكا إلى عقباكا
الساعة الكبرى هنا وهناك
أو أنا في طريقك أغرس الأشواكا
إن أخطأت في تسخيره أفناكا
تصيع من الذهب النضار ثراكا
عالمًا متناحرًا سفاكا
وامسح بنعمي نوره بؤساكا
العلم تدميراً ولا إهلاكا

(١) بعلمه وقدرته وإحاطته .

المتكلمون في المهد (١٧)

٩٤- فإذا أردت العلم منحرفاً فما أشقى الحياة به وما أشقاكا! ^(١)

ومن طلاقه القدرة الإلهية أن يتكلم مولود في المهد

والمهد في اللغة :

مهد الصبي ، ومهد الصبي موضعه الذي يُهَيَّأ له ويوطأ لينام فيه . . . والجمع

مهود .

والمقصود :

أن يُنطق الله المولود في وقت لم يتكلم الأطفال فيه ، وهو وقت الرضاع .

(١) قائله : إبراهيم علي بديوي شيخ معهد دمنهور الديني .

المتكلمون في المهد

[١] عيسى^(١) ابن مريم عليهما السلام

﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ .

لا شك أن عيسى - عليه السلام - تكلم في المهد كما جاء في سورة مريم المكية قال تعالى : ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً....﴾^(٢) الآية .

وكما قال رسول الله ﷺ : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم »^(٣) .

إلا إن العلماء اختلفوا في بداية تكلم عيسى - عليه السلام - في المهد .

هل كان عندما كان في شرقي المسجد الأقصى ؟

أو كان عندما رجعت مريم ومعها ولدها ودخلت على قومها ؟

واليك البيان : قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۖ قَالَتْ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ۖ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ

(١) اسم عبراني .

(٢) سورة مريم : [٢٩ ، ٣٠] .

(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء في بابين رقم (٣٤٣٦) ، ومسلم في كتاب البر والصلة باب : تقديم بر الوالدين على التطوع ، وأحمد (٣٩٥/٢ ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى
جَذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا
أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤) وَهَزِي إِلَيْكِ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكِ
رُطْبًا جَنِيًّا ٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّنِي
نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦) قَالَتْ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
بَعِيًّا ٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩) قَالَ إِنَّنِي
عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠) وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢)
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣) ﴿ [سورة مريم

: ١٦-٣٣] .

إذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلاً وإنشائه على هذه الصورة ، فإن
حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله ،
ويكون حادثاً فذاً لا نظير له من قبله ولا من بعده .

والبشرية لم تشهد خلق نفسها وهو الحادث العجيب الضخم في تاريخها ! لم
تشهد خلق الإنسان الأول من غير أب وأم وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث
فشاءت الحكمة الإلهية أن تبرز العجبية الثانية من غير أب على غير السنة التي
جرت منذ وُجد الإنسان على هذه الأرض ، ليشهدها البشر ، ثم تظل في سجل
الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت إليها الأجيال ، إن عزَّ عليها أن تتلفت إلى العجبية
الأولى التي لم يشهدها إنسان !

- لقد جرت بسنة الله التي وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في
جميع الفصائل والأنواع بلا استثناء ، حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها ذكر
وأنثى متميزات تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنث .

جرت هذه السُّنة أحقاباً طويلة حتى استقر في تصور البشر أنَّ هذه الطريقة الوحيدة ، ونسوا الحادث الأول حادث وجود الإنسان لأنه خارج عن القياس ، فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم - عليه السلام - ليذكّرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة . وأنها لا تحتبس داخل النواميس التي تختارها ولم يتكرر حادث عيسى لأن الأصل هو أن تجري السُّنة التي وضعها الله ، وأن يُنفذ التاموس الذي اختاره .

وهذه الحادثة الواحدة تكفي لتبقى أمام أنظار البشرية معلماً بارزاً على حرية المشيئة . وعدم احتباسها داخل حدود النواميس ﴿ ولنجعلها آيةً للناس ﴾ والسياق يُخرج القصة في مشاهد مثيرة حافلة بالعواطف والانفعالات ، التي تهز من يقرؤها هزاً كأنها هو يشهدها . ﴿ وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ .

هذا هو المشهد الأول :

فتاة عذراء قديسة ، وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد ، لا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفة حتى تُنسب إلى هارون أبي سدة المعبد الإسرائيلي المتطهرين - ولا يُعرف عن أسرتها إلا الطيبة والصلاح من قديم .

ها هي ذي تخلو إلى نفسها لشأن من شئونها التي تقتضي التواري من أهلها والاحتجاب عن أنظارهم . ولا يحدد السياق هذا الشأن ، ربما لأنه شأن خاص جداً من خصوصيات الفتاة .

وها هي ذي في خلوتها ، مطمئنة إلى انفرادها ، ولكن ها هي ذي تُفاجأ مفاجأة عنيفة ... إنه رجل مكتمل سوي ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ .

وها هي ذي تنتفض انتفاضه العذراء المذعورة يفجؤها رجلٌ في خلوتها . فتلجأ إلى الله تستعِذ به وتستنجد وتستشير مشاعر التقوى في نفس الرجل والخوف من

الله والتخرج من رقابته في هذا المكان الخالي : ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ .

فالتقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزع الشيطان .

وهنا يتمثل الخيال تلك العذراء الطيبة البريئة ذات التربية الصالحة ، التي نشأت في وسط صالح ، وكفلها زكريا بعد أن نذرت لله جنيناً وهذه هي الهزة الأولى ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ . ول يتمثل الخيال مقدار الفزع والخجل ، وهذا الرجل السوي - الذي لم تثق بعد أنه رسول ربها - فقد تكون حيلة فاتك يستغل طبيعتها - يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول ، وهو يريد أن يهب لها غلاماً ، وهما في خلوة - وهذه هي الهزة الثانية .

ثم تدركها شجاعة الأنثى المهددة في عرضها ! فتسأل في صراحة كيف ؟ ﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً ﴾ هذا في صراحة ، وبالألفاظ المكشوفة ، فهي والرجل في خلوة والغرض من مباغتته لها قد صار مكشوقاً ، فما تعرف هي بعد كيف يهب لها غلاماً ؟ وما يخفف من روع الموقف أن يقول لها ﴿ إنما أنا رسول ربك ﴾ ، ولا أنه مرسل ليهب لها غلاماً طاهراً غير مُدنس الولد ، ولا مُدنس السيرة ، ليطمئن بالها .

فالحياء هنا لا يُجدي ، والصراحة أولى . كيف ؟ وهي عذراء لم يمسنها بشر ، وما هي بغية فتقبل الفعلة التي تجئ منها بغلام ! .

ويبدو من سؤالها أنها لم تكن تتصور حتى اللحظة وسيلة أخرى لأن يهبها غلاماً إلا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى . وهذا هو الطبيعي بحكم التصور البشري ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا ﴾ . فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقُوعه هين على الله ، فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون ، كل شيء هين ، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت

بغيره .

والروح يخبرها بأن ربها يخبرها بأن هذا هيّن عليه ، وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس ، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته .

ثم تمضى القصة في مشهد جديد من مشاهدها ، فتعرض هذه العذراء في موقف آخر أشد هولاً .

﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ﴾ فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴿ وهذه هي الهزة الثالثة . . . فلنشهد مريم تتبذد مكاناً قصياً عن أهلها ، في موقف أشد هولاً من موقفها الذي أسلفنا ، فلئن كانت في المشهد الأول تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها ، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة ، ثم هي تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية تواجه المخاض الذي (أجاءها) إجابة إلى جذع النخلة ، واضطرها اضطراراً إلى الاستناد عليها ، وهي وحيدة فريدة ، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض ، ولا علم لها بشيء ، ولا مُعين لها في شيء ، فإذا هي قالت : ﴿ يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾ فإننا لنكاد نرى ملامحها ، ونُحس اضطراب خواطرها ، ونلمس مواقع الألم فيها ، وهي تتمنى لو كانت نسياً ^(١) .

وفي حدة الألم وغمرة الهول تقع المفاجأة الكبرى ﴿ فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ وهُزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ فكلّي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴿

فنادها من تحتها بالفتح وقرأ بكسر الميم (من) نافع وحمزة والكسائي وحفص ^(٢) .

(١) في ظلال القرآن : (٤/٢٣٠٤-٢٣٠٧) باختصار .

(٢) تفسير الرازي (١٠/٤٣٤) ، والقرطبي (١١/٩٣) ، وابن كثير (٣/١١٧) .

* في المنادى ثلاثة أوجه :

الأول : أنه عيسى - عليه السلام - وهو قول الحسن وسعيد بن جبيل .
والثاني : أنه جبريل - عليه السلام - وأنه كان كالقابلة للولد ، وهو الأظهر
وبه قال الأكثر .

والثالث : أن المنادى على القراءة بالكسر هو الملك وعلى القراءة بالفتح هو
عيسى - عليه السلام - وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم .

والقول بأن عيسى هو المنادى هو الأقرب لوجه :

الأول : أن قوله ﴿ فنادها من تحتها ﴾ بفتح الميم إنما يستعمل إذا كان قد علم
قبل ذلك أن تحتها أحداً ، والذي علم كونه حاصلاً تحتها هو عيسى - عليه السلام
- فوجب حمل اللفظ عليه ، أما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضي كون المنادى
جبريل - عليه السلام - فقد صح قولنا .

والثاني : أن ذلك الموضع موضع اللوث والنظر إلى العورة وذلك لا يليق
بالملائكة .

والثالث : أن قوله ﴿ فنادها ﴾ فعل ولا بد أن يكون فاعله قد تقدم ذكره ، ولقد
تقدم قبل هذه الآية ذكر جبريل وذكر عيسى - عليهما السلام - إلا أن ذكر عيسى
أقرب لقوله تعالى : ﴿ فحلمته فانتبذت به ﴾ والضمير ههنا عائد إلى المسيح فكان
حمله عليه أولى .

والرابع : وهو دليل الحسن بن علي - عليه السلام - أن عيسى - عليه السلام
- لو لم يكن كلمها لما علمت أنه ينطق ، فما كانت تشير إلى عيسى - عليه
السلام - بالكلام^(١) .

يا الله ! طفل ولد اللحظة يناديه من تحتها يطمئن قلبها ويصلها بربها ،

وَيُرْشِدُهَا إِلَى طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا ، وَيَدُلُّ عَلَى حِجَّتِهَا وَيُرْهَانَهَا !

لا تَحْزَنِي : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾ فلم ينسك ولم يتركك ، بل أجرى لك تحت قدميك جدولاً سارياً الأرجح أنه جرى للحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء في الجبل ، وهذه النخلة التي تستندين إليها هزيتها فتساقط عليك رطباً ، فهذا طعام وذاك شراب ، والطعام الحلو مناسب للنفساء ، والرطب والتمر من أجود طعام النفساء ﴿ فكللي واشربي ﴾ هنيئاً ﴿ وقرري عينا ﴾ واطمئني قلباً ، فأما إذا واجهت أحداً فأعلنه بطريقة غير الكلام ، أنك نذرت للرحمن صوماً عن حديث الناس وانقطعت إليه للعبادة ، ولا تُجيبني أحداً عن سؤال .

ونحسبها قد دُهِشت طويلاً ، وبُهِتت طويلاً ، قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة تهزّه ليساقط عليها رطباً جنيئاً ، ثم أفاقت فاطمأنت إلى أن الله لا يتركها ، وإلى أن حجتها معها ، هذا الطفل الذي ينطق في المهد ، فيكشف عن الحارقة إلى جاءت به إليها .

﴿ فَأَنْتَ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ ﴾ فلنشهد هذا المشهد المثير .

إننا لتتصور الدهشة التي تملو وجوه القوم ، ويبدو أنهم أهل بيتها الأقربون في نطاق ضيقٍ محدود - وهم يرون ابتسهم الطاهرة العذراء الموهوبة للهيكل العابدة المنقطعة للعبادة يرونها تحمل طفلاً !

إنَّ ألسنتهم لتنطق بالتقريع والتأنيب ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ فظيعةً مستنكرةً ثمَّ يتحول السخط إلى تهكم مرير ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ النبي الذي تولى الهيكل هو وذريته من بعده والذي تنتسبين إليه بعبادتك وانقطاعك لخدمة الهيكل ، فيا للمفارقة بين تلك النسبة التي تنتسبها وذلك إلى الفعل الذي تقارفينه !

وهذا على معنى أنها أخت هارون في الطاعة وهو الأقرب والأرجح . ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ * وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ حتى تأتي بهذه الفعلة التي لا يأتيها إلا بنات آباء السوء والامهات البغايا !

وتنفذ مريم وصية الطفل العجيب التي لقنها إياها . ﴿ فأشارت إليه ﴾ فماذا نقول في العجب والغيظ الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفل ، ثم تبجح فتسخر ممن يستنكرون فعلتها فتصمت وتشير لهم إلى الطفل ليسألوه عن سرها . ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴾ .

ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع مرة أخرى^(١) ، وتكلم في المهد في هذا الموضع بالإجماع قائلاً ﴿ إني عبدُ الله ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى ويراه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه ، وهذا فيه أبلغ رد على المسيحيين الذين زعموا أنه إله أو ابنًا للإله أو ثالث ثلاثة .

وفيه رد على اليهود الذين اتهموا أمه - عليها السلام - بالزنا .

وفيه مدح للموحدين من المسلمين والنصارى الذين قالوا : إن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

وقوله : ﴿ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلْنِي نَبِيًّا ﴾ تبرئة لأمه مما نُسبت إليه من الفاحشة ، قال نوف المكالي : لما قالوا لأمه ما قالوا : كان يرتضع ثديه فتزع الشدي من فمه واتكا على جنبه الأيسر ، رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ وقال عكرمة ﴿ آتاني الكتاب ﴾ أي قضى أنه يوتيبي الكتاب فيما قضى .

والمراد بالكتاب الإنجيل على الأرجح . ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت ﴾ ذكروا في تفسير المبارك وجوهاً :

أحدها : أن البركة في اللغة هي الثبات ، وأصله من بَرُوك البعير فمعناه جعلني ثابتاً على دين الله مستقراً عليه .

ثانيها: أنه إنما كان مباركاً لأنه كان يُعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق

فإن ضلوا فمن قبل أنفسهم لا من قبله . قاله مجاهد وعمر بن قيس والثوري .

ثالثها : البركة الزيادة والعلو ، فكأنه قال : جعلني في جميع الأحوال غالباً مفلحاً منجحاً ، لأنني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعليًا بالحجة ، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء .

رابعها : مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى وإبرار الأكمه والأبرص .

قال قتادة : ذكر لنا أن عيسى - عليه السلام - رآه امرأة يُحيي الموتى ، ويُبرئ الأكمه والأبرص في سائر زمانه فقالت : طوبى للبطن الذي حملك ، والتدي الذي أرضعك .

فقال لها عيسى - عليه السلام - : طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى وأتبع ما فيه وعمل به .

خامسها : قيل لبعضهم : ما بركته ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١) .

- وقوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴾ .

كقوله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴾ قال : أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت ما أبينها لأهل القدر .

وقوله : ﴿ وبراً بوالدتي ﴾ أي وأمرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة ربه لأن الله

(١) تفسير الرازي (٤٥١/١٠) ، وتفسير القرطبي (١٠٥/١١) ، وتفسير ابن كثير (١٢٠/٣) .

تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ . وفيه إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا إذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأموراً بتعظيمها^(١) .

وقوله : ﴿ ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ أي ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك ، قال سفيان الثوري : الجبار الشقي : الذي يقتل على الغضب .

وقال بعض السلف : لا تجدد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً ثم قرأ ﴿ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ وقوله : ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ إثبات منه لعبوديته لله - عز وجل - وأنه مخلوق من خلق الله يُحيي ويُميت ويُبعث كسائر الخلائق ، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه^(٢) .

وقد قيل إن عيسى - عليه السلام - تكلم بكلام عظيم .

قال إسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي نضرة عن أبي أسيد وعن مكحول عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إن عيسى ابن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فمجد الله تمجيداً لم تسمع الآذان بمثله ، لم يدع شمساً ولا قمرًا ولا جبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيده فقال :

« اللهم أنت المسبح في علوك ، المتعال في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي خلقت سبعاً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً أجن وهو دُخان من فرقك^(٣) ، فأتين طائعات لأمرك فيهن ملائكتك يُسبحون قدسك

(١) تفسير الرازي (١٠/٤٥٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٢٠) .

(٣) فَرَّقَكَ : خَوَّفَكَ .

٢٨ المتكلمون في المهد

لتقديسك ، وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس
بالنهار ، وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد .

فبعزتكم يجلو ضوء ظلمتكم ، وجعلت فهن مصابيح يهتدي بهن في الظلمات
الحيرات ، فتباركت اللهم فيما فطرت من سمواتك ، وفيما دحوت من أرضك
دحوتها على الماء ، فسمكتها على تيار الموج الغار فأذللتها إذلال التظاهر فذلَّ
لطاعتك صعبها ، واستحيى لأمرك أمرها ، وخضعت لعزتك أمواجها ، ففجرت
فيها بعد البحور الأنهار ، ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ، ومن بعد الجداول
ينابيع العيون الغزار ، ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار ، ثم جعلت
على ظهرها الجبال فودتتها أوتاداً على ظهر الماء فأطاعت أطوارها وجلمودها .

فتباركت اللهم فمن يبلغ بنعته نعتك ، أمن يبلغ بصفته صفتك ؟! تنشر
السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين لا إله إلا أنت سبحانك
أمرت أن نستغفرك من كل ذنب ، لا إله إلا أنت سبحانك ، سترت السموات
عن الناس ، إلا إله إلا أنت سبحانك ، إنما يغشاك عبادك الأكياس .

نشهد أنك لست بإله استحدثناك ، ولا رب يبيد ذكره ، ولا كان معك شركاء
فندعوهم ونذكرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشكُّ فيك ، نشهد أنك أحد
صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفواً أحدًا^(١) .

(١) البداية والنهاية : (١/ ٧٠ ، ٧١) .

المتكلمون في المهد

[٢] صاحب جريج

قال : « فلان الراعي » أنا ابن الراعي

غلام جريج

عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وكان جريج رجلاً عابداً ، فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب ، أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت .

فلما كان من الغد ، أته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : أي رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فقالت : اللهم لا تُمتته حتى ينظر إلى وجوه المومسات .

فتذاكر بنوا إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغية يتمثل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم .

قال : فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأنت راعياً كان يأوي إلى صومعته ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها ، فحملت ، فلما ولدت ؛ قالت : هو من جريج ، فأتوه ، فاستنزلوه ، وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنت بهذه البغي فولدت منك ، فقال : أين الصبي ^(١) ؟ فجاءوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي ، فصلى فلما انصرف ؛ أتى الصبي فطعن في بطنه ، وقال : يا غلام ، من أبوك : قال : فلان الراعي .

(١) اسم هذا الغلام يابوس كما جاء مصرحاً به في رواية البخاري .

قال : فأقبلوا على جُريج ؛ يُقبِّلونه ويتمسحون به ، وقالوا : نبني لك صومعتك من ذهب ، قال : لا أعيدوها كما كانت ، ففعلوا .

وبينا صبي يرضع من أمه ، فمرَّ رجلٌ راكب على دابة فارهة ، وشارة حسنة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي وأقبل إليه ، فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه ، فجعل يَرْتَضِع .

قال : فكأنني أنظر إلى رسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه ، فجعل يمصُّها .

قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زينت سَرَقَتْ ، وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ، ونظر إليها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها .

فهنالك تراجعوا الحديث ، فقالت : حلَّقني ، مرَّ رجل حسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابني مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون ، زينت ، سرقت ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها ، قال : إنَّ ذلك الرجل كان جباراً ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، وإن هذه يقولون لها : زينت ولم تزن ، وسرقت ولم تسرق ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها ^(١) .

المعاني :

- يارب أمي وصلاتي : أي اجتمع عليَّ إجابة أمي وإتمام صلاتي ، فوفقني لأفضلهما . -

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٦) في أحاديث الأنبياء في بابين ، ومسلم في البر والصلة باب : تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرهما ، وأخرجه أحمد (٣٩٥/٢ ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) ، وأبو يعلى (١٧٨/١١-١٧٩) ، وأخرجه البيهقي في الأداب (١٠٧٩) ، وابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة رقم (١) .

- المومسات : جمع مومسة ، وهي البغي الزانية المجاهرة .
- يُتمثل بحسنتها : أي يُضرب به المثل .
- فتعرضت : أي عرضت نفسها عليه ليوافقها .
- الفوائد :-

- ١- المتكلمون في المهد أكثر من واحد منهم غلام جُريج .
 - ٢- عَظُم بر الوالدين .
 - ٣- قد يُجاب دعاء الأم على ولدها .
 - ٤- تُقطع صلاة النافلة لإجابة الأم .
 - ٥- استحباب الصلاة عند نزول الشدائد .
 - ٦- ذم الكبر والإعجاب بالنفس .
 - ٧- المظلوم له فضل ومزية عند الله - تعالى - . .
 - ٨- من أكثر دعاء الله في الرخاء فإنه يستجيب له في البلاء .
- وبعد فهذه قصة جميلة ذكرت ثلاثة مَن تكملوا في المهد : « عيسى - عليه السلام - ، و غلام جريج ، و غلام المرأة .
- ٩- النظر إلى الصور فيه فتنة عظيمة ، ولذا فإن الإسلام نهى عن النظر إلى الأجنبيات .

المتكلمون في المهد

[٣] ابن امرأة الأخدود

« يا أماه اصبري فإنك على الحق ».

عن صهيب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال :
« كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك . إني قد كبرت
فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه وكان في طريقه إذا سلك
راهب ، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر من الراهب وقعد
إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال :

إذا خشيت الساحر ، فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني
الساحر ، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال :

اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً ، فقال : اللهم إن
كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ،
فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بُني أنت
اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبُتلى ، فإن ابتليت فلا تدل
عليّ ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء
فسمع جليس للملك كان قد عمى ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ههنا لك أجمع
إن أنت شفيتني ، فقال : إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى ، فإن آمنت بالله
بعوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى ، فأتى الملك فجلس إليه
كما كان يجلس فقال له الملك : من ردّ عليك بصرك ؟ قال : ربي ، قال : ولك ربٌ
غيري ؟! قال : ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل يُعذِّبه حتى دلَّ على الغلام ،
نجى بالغلام فقال له الملك : أي بُني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص
وتفعل فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى ، فأخذه فلم يزل يُعذِّبه

حتى دل على الراهب ، فجئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ، فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهمًا من كناتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهمًا من كناته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فأُتي الملك فقيل له : أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرُك ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ، فعُدَّت وأضرم فيها النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : « يا أماء اصبري فإنك على الحق »^(١) .

(١) مسلم في الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، وأحمد (١٧/٦) ، (١٨) ، والنسائي في الكبرى كما في التحفة (١٩٨/٤) ، والطبراني في الكبير (٧٣٢٠ ، ٧٣١٩) ، وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٥١) ، وابن حبان (٨٧٣) ، والترمذي (٣٣٤٠) .

المعاني :

- الأكمه : هو الذي وُلِدَ أعمى .
- الأدواء : جمع داء وهو المرض .
- مفرق رأسه : أي وسطها .
- ذُروته : بضم الذال وفتحها أي : أعلاه .
- فرجف بهم الجبل : أي اضطرب وتحرك حركة شديدة .
- القرقُور : السفينة الصغيرة والزورق وهو بضم القافين .
- فتوسطوا به : جاء في رواية « لججوا به » أي اقتحموا به اللجة وهي معظم الماء كاللج ، ومنه بحر لُجبي .
- انكفأت : انقلبت .
- كبد القوس : مقبضها عند الرمي .
- أفواه السكك : أي أبواب الطرقات .
- خَدَّتْ : حُفِرَ فيها الأخدود ، وهي الحفرة المستطيلة من الأرض .
- أُضرم النيران : أي أوقدها .
- فاحموه فيها : أي ارموه فيها ، وهو في عامة النسخ هكذا وجاء في بعضها « فاقحموه فيها : اطرحوه فيها طرحًا .
- اقتحم : دخل .
- فتقاعست : توقفت ولزمت موضعها .

والمقصود من إيراد هذا الحديث - على طوله - أنَّ المرأة لما جئ بها لتلقى في أخاديد النيران توقفت ولزمت موضعها من أجل ولدها فإذا برز العالمين يجعل الغلام يتكلم في المهد قائلاً « اصبري فإنك على الحق » ليكون تهيئة لها حتى لا

- ترجع عن دينها .
- ومما يُستفاد من الحديث السابق .
- ثبات الأولين من المؤمنين على إيمانهم .
 - الشدائد والمحن تصقل الإنسان ، فيعرف بها قوي الإيمان .
 - الابتلاء سنة ربانية لا تتخلف أبداً .
 - ينبغي للعبد أن لا يتمنى لقاء العدو فإذا لقاه صبر .
 - ينبغي للعبد أن لا يُعرض نفسه للابتلاء والمحن ، فالراهب طلب منه ألا يدل عليه ، فلما ابتلى صبر حتى نُشر بالمنشار .
 - إثبات الكرامة للأولياء ، وليست بلازمة لكل ولي .
 - هناك أشياء لا تجوز نسبتها حقيقة إلا لله منها ، الشفاء وإبراء الأكمه والأبرص .
 - الملوك في غابر الزمان كانوا دائماً يستخدمون السحرة والمتكهنين في مصالحهم الشخصية .
 - فيه دليل على أن السحر حقيقة وهو علم له أصول ، لكن السحر والشعوذة والتنجيم والرمل من العلوم المحرمة .
 - المعركة بين المؤمنين وأعدائهم أساسها حرب عقيدة .
 - جوار الكذب في الحرب ونحوها ، وفي إنقاذ النفس من الهلاك ، سواء نفسه ، أو نفس غيره ، ممن له حرمة .
 - إثارة انتشار الدعوة إلى الله تعالى على الحياة الدنيا .
 - على الدعاة أن يعملوا على خدمة الناس ومساعدتهم ، فقد كان الهدف من قتل الدابة حل مشكلة الناس .
 - الشجاعة : الوصول إلى المراد وإن قُتلت .

المتكلمون في المهد

[٤] الصبي الرضيع

« اللهم لا تجعلني مثله اللهم اجعلني مثله » .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جُريج » . « وبيننا صبي يرضع في أمه ، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة^(١) ، وشارة^(٢) حسنة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع » .

قال أبو هريرة : فكأنني أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه ، فجعل يمصُّها . قال : « ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيته ، سرقت ، وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثله فترك الرضاع ، ونظر إليها فقال : اللهم اجعلني مثله فهناك تراجع الحديث^(٣) ، فقالت : حلقي^(٤) مرَّ رجل بحسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابني مثله فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون : زنيته ، سرقت ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثله ، فقلت : اللهم اجعني مثله^(٥) قال : إن ذلك الرجل كان جباراً فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، وإن هذه يقولون لها : زنيته ولم تزن ، وسرقت ولم تسرق ، فقلت : اللهم اجعلني مثله^(٦) » .

(١) الفارحة : النسيطة القوية . (٢) الشارة : الهيئة واللباس .

(٣) تراجع الحديث : أي أقبلت على ابنها الرضيع تُحدِّثه ، وإنما كانت في البدء ، لاتراه أهلاً للكلام .

(٤) حَلَقِي : دعاء عليه ، أي أصابه الله بوجع في حلقي .

(٥) اجعني مثله : في السلامة من الآثام .

(٦) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء في بابين رقم (٣٤٣٦) ، ورواه مسلم في البر والصلة ، باب : تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها .

المتكلمون في المهد

[٥] ابن ماشطة بنت فرعون

« قعي يا أم ولا تقاعسي فإنك على الحق » .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَّتْ بِي رَائِحَةُ طَيْبَةٍ فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ . قَالَ : أَبِي جَبْرِيلُ : مَاشِطَةُ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادُهَا سَقَطَ الْمَشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ . فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ، قَالَتْ : رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ قَالَتْ : أَوَّلَكَ رَبٌّ غَيْرَ أَبِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ ، قَالَ : ^(١) فِدَاعَاهَا ^(٢) فَقَالَ : أَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأَحْمَيْتُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا لِتُلْقَى فِيهَا وَأَوْلَادُهَا فَالْقُوا وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى بَلَغَ رَضِيْعًا فِيهِمْ فَقَالَ : قَعِي يَا أُمِّ وَلَا تَقَاعَسِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ » رواه أحمد والبزار وابن حبان والحاكم وغيرهم .

لَمَّا دَعَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَانَ مِمَّنْ آمَنَ عَلَى يَدَيْهِ مَاشِطَةُ بِنَاتِ فِرْعَوْنَ .

وفي ذات يوم من الأيام كانت هذه المؤمنة تمشط شعر ابنة فرعون - لعنة الله - سقط مشطها من يدها ، فقالت : بسم الله ، إنها توحد الله تعالى - وتذكره ، ولا تغفل عن ذكره ، وأحسست ابنة فرعون بكلمة جديدة لم تسمعها ممن يعبدون أبيها فقالت منكراً وسائلة : أبي ، فقالت الماشطة في غيرة وغضب لله - سبحانه - ربِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ ، وهنا انتفضت البنت قائلة : أَوَّلَكَ رَبٌّ غَيْرَ أَبِي ، فأجابته الموحدة بلسان الصدق : نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ .

(١) قال : أي جبريل - عليه السلام - .

(٢) أي فرعون - لعنة الله - .

ووصل هذا الخطاب التوحيدي إلى فرعون ، وما كان من فرعون إلا أن دعاها إليه ، ولم يذهب هو إليها ، إنه الله ولا شك أنه قابلها في أبهى الحلل وأجمل الثياب في قصره المشيد ، وحوله الجنود والعبيد .

وبغلظة وشدة سألها : ألك ربٌ غيري ؟ فصرخت الموحدة في معقل الكفر قائلة : ربي وربك الله .

عندئذ استشاط فرعون غضباً ، وعاد إلى سياسته القديمة ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾^(١) .

وأمر فرعون ببقرة من نحاس فأحميت لتلقى فيها هي وأولادها ، وقبل بداية الحرق قالت الماشطة : إن لي إليك حاجة ، قال فرعون : وما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع واحد ، قالت : ذاك لك لما لك علينا من الحق أرايت مخلوقاً حقيراً مثل هذا ؟

إنه لو أراد أن يعطيها حقها لتركها ، وماذا تصنع امرأة ضعيفة ؟ وماذا يضره إيمانها ؟ إنها الفرعنة ، وإنهم الفراعنة ، وأحرق ولدها الأول ، وهي تنظر ومعها بقية أولادها .

وأحرق الثاني والثالث . . . إلى أن جاء الدور على ولدها الأصغر الذي كان في الرضاعة ، فقال مثبتاً لها : يا أم قعي ولا تقاعسي . اقفزي ولا تراجعني ، وهنا نزلت النيران ولم تتراجع .

المتكلمون في المهد

[٦] شاهد يوسف - عليه السلام -

﴿ إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لما أُسري بي مرَّت بي رائحة طيبة ، فقلت : ما هذه الرائحة ؟ قال ^(١) : ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت : بسم الله . فقالت بنت فرعون : أبي ؟ قالت : ربي وربك ورب أبيك !! قالت : أو لك رب غير أبي ؟ قالت : نعم ربي وربك ورب أبيك الله !! قال : فدعاها ^(٢) فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل قال فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تُلقي فيها ، قالت : إن لي إليك حاجة ، قال : ما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك لما لك علينا من الحق ، قال : فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال : يا أمه قعي ولا تقاعسي فإنك على الحق قال : وتكلم أربعة في المهد وهم صغار - هذا .

- وشاهد يوسف .

- وصاحب جريج .

- وعيسى ابن مريم - عليه السلام - ^(٣) .

(١) أي جبريل - عليه السلام - .

(٢) أي فرعون - لعنه الله - .

(٣) رواه أحمد ، وابن حبان والحاكم والبيهقي ، وقال الإمام ابن كثير : إسناد لا بأس به . انظر التفسير (١٥/٣) . سورة الإسراء [١] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى شاهد يوسف ، لكن لم يخبر أنه تكلم في المهد - فقال : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألقيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴿^(١) .

محنة إلقائه في الحب :

بعد المحنة الأولى التي وقعت ليوسف - عليه السلام - يتنقل القرآن الكريم ليوضح محنة أشد قسوة من الأولى إنها محنة امرأة العزيز .

والقرآن الكريم يضيف على هذه المحنة الستر وهذا ديدنه في هذه المسائل ، والمربي الصالح يدرك هذه الحكمة الغالية ، فيأبى أن وسائل الإعلام في عصرنا تتقي - الله تعالى - ولا تلعب على وتر الجنس ، كفاهم ما أفسدوا ، فهم السبب الرئيسي في فساد شباب المسلمين .

تنطلق الآيات القرآنية بهمسات ولمسات خفيفة ، وتدع لأولى الألباب اكتشاف ما وراء الستار ، فلا شك أن امرأة العزيز حاولت إغراء يوسف - عليه السلام - بكافة الوسائل والأساليب ، مرة ترتدي ملابس شفافة ، ومرة تطلب منه أن يجالسها على سريرها ، ومرة تحاول أن تقبله ، ومرة ومرة

وأثناء عرض الحادث تضع الآيات القرآنية الأوسمة العليا ، والشهادات الكبرى التي لا ينالها إلا نبي معصوم - على صدر يوسف - عليه السلام - .

(١) سورة يوسف : [٢٣-٢٨] .

- ﴿مكناً ليوسف في الأرض﴾ والتمكين يقتضي التاريخ المشرف لا تاريخ الخزي والفضيحة والعار .

- ووسام ثانٍ ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ والعالم بهذا العلم النفيس النادر علماءه ينبغي أن يكون طاهراً من الزنا .

- ووسام ثالث : ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً﴾ . الحكمة العملية : الإصابة في العمل .

- ووسام رابع : وآتيناه ﴿علماً﴾ الحكمة النظرية : الإصابة في القول والفهم .

- ووسام خامس : ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ ولا كذلك نجزي المسلمين ولا وكذلك نجزي المؤمنين ، فالمحسن أعلى درجة من المسلم ، وأعلى درجة من المؤمن والإحسان أعلى درجات الدين ، والإحسان يقوم على مراقبة الله تعالى .

- ووسام سادس : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء﴾ مقدمات الزنا .

- ووسام سابع : لنصرف عنه ﴿الفحشاء﴾ الزنا .

- ووسام ثامن : ﴿إنه من عبادنا﴾ وعباد الله لا يقدر إبليس على إغوائهم ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾^(١) .

- ووسام تاسع : إنه من : ﴿المخلصين﴾ .

والملاحظ أنَّ هذه الأوسمة لم تذكر في غير هذا الموضع في القرآن الكريم كله فهل العاصي ينال كل هذا التكريم في هذا المقام ؟! ناهيك أن يكون المتهم نبياً رسولاً أو على طريق الوصول للنبوّة ، فالآيات التي معنا تطير بجناحين ، جناح الستر . وجناح تكريم يوسف - عليه السلام - .

والآن نواجه النصوص : ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ الآيات توضح

في أتم بيان أن امرأة العزيز نزلت من عليائها لتسلم قيادها إلى عبدها ، وأن هذا العبد كان مكرهاً مرغماً لم يطلب منها فاحشة ، ولم يومئ إلى مقدماتها ولك أن تنظر إلى نفسيته في هذا الابتلاء ، إنه لو أطاعها لصار سيذاً أميراً ولو عصاها لصار عبداً حقيراً .

ولكن يوسف - عليه السلام - لم يبال بمراودتها ، فما كان منها إلا أن غلقت الأبواب ، وفي تغليقها الأبواب أدل دليل على أنها مصممة على الفاحشة سواء قبل عبدها أم رفض ، وهنا : قالت في رقة وحنان وتمايل وإثارة ، هيت لك .

وإذا بالرد الحاسم من يوسف - عليه السلام - ﴿ معاذ الله ﴾ إنه لجأ إلى من يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

لاذ بالله ، واستعاذ بالله ، واستعان بالله ، والله - سبحانه - يجيب المضطر فهو القائل :

﴿ أمن يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ﴾ ^(١) .

وصدق القائل :

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأسن فإن الكافي الله
إذا بليت فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله ما لك غير الله من أحد	فحسبك الله في كل لك الله
والله ما لك غير الله من أحد	فقل بقلب سليم حسبي الله
لذ بالآله ولا تلذ بسواه	من لاذ بالمولى الكريم عطاه

قف بالخضوع وناد ربك ياه إن الكريم من يُجيب من ناداه وبعد أن لجأ إلى مولاة ليعصمه من المعصية لم ينس أن يعترف بفضل سيده عليه قائلاً ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ وهذا من باب لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

ثم انتقل إلى بيان شؤم المعصية ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ الذين يتجاوزون حدود الله ، ويجترئون على المعاصي .

﴿ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ وهذه الآية قبل أن نعرض لتفسيرها نُشير إلى أن .

* براءة يرسف - عليه السلام - من الزنا ومقدماته والهم المحرم لا يحتاج لدليل حتى لو كانت هذه الحادثة قبل النبوة ، فإن الأنبياء معصومون من الكبائر قبل البعثة ، إلا أنا نزيد ههنا وجوها :

١- أن الزنا من منكرات الكبائر ، والخيانة في معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب ، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكرات الذنوب ، وأيضاً الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفياً المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال .

إذا ثبت هذا فنقول :

إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف - عليه السلام - كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ، ومثل هذه المعصية لو نُسبت إلى أفسق خلق الله - تعالى - وأبعدهم عن كل خير لاستكف منه ، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة .

القول الثاني : أنه تعالى قال في غير هذه الواقعة ﴿ كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع المعاصي وأفحش أقسام الفحشاء ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء !

وأيضاً فالآية تدل على قولنا من وجه آخر ، وذلك لأننا نقول :

هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه ، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ، ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم ، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثم أنه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبها ، فإن ذلك يُستكر جداً والله أعلم .

٣- أن الأنبياء - عليهم السلام - متى صدرت منهم ذلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع ، ولو كان يوسف - عليه السلام - أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار لو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع ، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية .

٤- أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف - عليه السلام - من المعصية .

واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة : يوسف - عليه السلام - وتلك المرأة وزوجها والنسوة ، والشهود ، ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب ، وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فحيث لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب .

أما بيان يوسف - عليه السلام - ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله - عليه السلام - ﴿هي راودتني عن نفسي﴾^(١) .

وقوله - عليه السلام - ﴿رب السّجن أحبُّ إليَّ ممَّا يدعونني إليه﴾ .

وأما بيان أنَّ المرأة اعترفت بذلك ، فلأنها قالت للنسوة ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ .

وأيضاً قالت : ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ .

وأما بيان أنَّ زوج المرأة أقرَّ بذلك فهو قوله تعالى : ﴿إنه من كيدكنَّ إنَّ كيدكنَّ عظيم﴾ يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك﴾ .

وأما الشهود فقوله تعالى : ﴿وشهد شاهد من أهلها إن كان قيمه قدَّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ .

وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ . فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات .

أولها : قوله تعالى : ﴿لنصرف عنه السوء﴾ واللام للتأكيد والمبالغة .

ثانيها : قوله تعالى : ﴿والفحشاء﴾ أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .

ثالثها : قوله تعالى : ﴿إنه من عبادنا﴾ مع أنه تعالى قال ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ .

رابعها : قوله تعالى : ﴿المخلصين﴾ وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل المخلصين ، وأخرى باسم المفعول ﴿المخلصين﴾ فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص ووروده باسم المفعول يدل على أنَّ الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته ، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل

الألفاظ على كونه مُنزهاً عما أضافوه إليه .

وأما بيان أن إبليس أقرَّ بطهارته ، فلأنه قال : ﴿ فبِعِزَّتِكَ لأُغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ *
إلا عبادك منهم المخلصين ﴿^(١) . فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف -
عليه السلام - من المخلصين لقوله تعالى : ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ فكان هذا
إقراراً من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى^(٢) .

وإذا كان يوسف بريئاً فما معنى قوله تعالى ﴿ ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن
رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ .

قلت : أرفض أولاً كل ما ورد في الإسرائيليات التي تُشير إلى أنه - صلى الله
عليه وسلم - عزم أو خلع ملابسه

ثم أرى ثانياً أن الآية فيها تقديم وتأخير فأصل الكلام ﴿ لولا أن رأى برهان ربه
لهمَّ بها ﴾ ، وطالما أنه رأى برهان ربه - الصارف له عن الحرام - فلم يهم بها .
وقد جاء مثل هذا التقديم في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ إن كادت لتبدي به
لولا أن ربطنا على قلبها ﴾^(٣) .

﴿ واستبقا الباب ﴾ فهو قد آثر التخلص بعد أن رأى برهان ربه ، وهي عدت
خلفه لتمسك به ، وهي ما تزال في هياجها الحيواني ﴿ وقدت قميصه من دبر ﴾ .

والقَد : القطع ، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً^(٤) وهذا قد يدل على أنها
تريد أن تلتصق به لتجذبه إليها وتقع المفاجأة :

﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ . وهنا تتبدى المرأة المكتملة ، فتجد الجواب
حاضراً على السؤال الذي يهتف به المنظر المريب إنها تتهم الفتى .

(١) سورة ص : [٨٢ ، ٨٣] .

(٢) تفسير الرازي (٩ / ٢٥ - ٢٨) .

(٣) سورة القصص : [١٠] .

(٤) تفسير القرطبي : (٩ / ١٧١) .

﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴾ ولكنها امرأة تعشق ، فهي تخشي على حبيب قلبها من الهلاك ، فتشير بالعقاب المأمون ﴿ إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ ويجهر يوسف - عليه السلام - بالحقيقة في وجه الاتهام الباطل :

﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ وهنا يتكلم ولد في المهد - وقيل : تكلم رجل كبير قريب لها - ليحسم بشهادته في النزاع ﴿ وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ .

يقول : إن كان قميصه قُطع من أمامه فصدقت في قولها : إنه راودها عن نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ما قالت : ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه^(١) .

المتكلمون في المهد

[٧] ابن رَجُل اليمامة

« أنت رسول الله » .

قال البيهقي : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، ثنا أحمد بن عبيد الصفار ، ثنا محمد بن يونس الكديمي ، ثنا شاصونه بن عبيد أبو محمد اليماني ، وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحردة - حدثني معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقب اليماني عن أبيه عن جده قال : حججت حجة الوداع ، فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووجهه مثل دائرة القمر ، وسمعت منه عجباً ، جاءه رجل بسلام يوم وُلِدَ فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أنا ؟ قال أنت رسول الله قال : صدقت بارك الله فيك . ثم قال : إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شبَّ ، قال أبي : فكنا نسميه مبارك اليمامة ، قال شاصونه ! وقد كنت أمرُّ على معمر فلم أسمع منه .

قال ابن كثير : هذا الحديث مما تكلم الناس في محمد بن يونس بسببه وأنكروه عليه واستغربوا شيخه هذا ، وليس هذا مما ينكر عقلاً ولا شرعاً ، فقد ثبت في الصحيح في قصة جُريج العابد أنه استنطق ابن تلك البغي ، فقال له : يا أبا يونس ، ابن من أنت ؟ قال : ابن الراعي ، فعلم بنو إسرائيل براءة عرض جُريج مما كان نُسب إليه .

على أنه قد روى هذا الحديث من غير طريق الكديمي إلا أنه بإسناد غريب أيضاً :

قال البيهقي : أنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد ، أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الغساني - بثغر صيدا - ثنا العباس بن محبوب بن

عثمان بن عبيد أبو الفضل ، ثنا أبي ثنا جدي شاصونة بن عبيد ، حدثني معرض ابن عبد الله بن معيقيب عن أبيه عن جده قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجهه كدارة القمر ، فسمعت منه عجباً ، أتاه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم وُلِدَ وقد لَفَّه في خرقة ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

يا غلام مَنْ أنا ؟

قال : أنت رسول الله .

فقال له : بارك الله فيك ، ثم إنَّ الغلام لم يتكلم بعدها .

قال البيهقي : وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ عن أبي الحسن على بن العباس الوراق عن أبي الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرئ القزويني عن أبي الفضل العباس بن محمد بن شاصونة به .

قال الحاكم : وقد أخبرني الثقة من أصحابنا عن أبي عمر الزاهد قال : لما دخلت اليمن دخلت حرمة ، فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيه لشاصونة عقباً ، وحُملت إلى قبره فزرت^(١) .

والمقصود :

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه رجل بغلام يوم ولادته فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - الغلام قائلاً :

مَنْ أنا ؟

فردَّ الغلام بطلاقة لسان ، أنت رسول الله .

وقد كان هذا دليلاً قاطعاً على صدق رسالته - صلى الله عليه وسلم - مع

..... المتكلمون في المهد (٥٠)

الأدلة الكثيرة الأخرى الدالة على هذا .

وهذا الغلام بعد أن كلم سيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - سكت ولم يتكلم إلى أن بلغ السن التي يتكلم فيها الأطفال .

المتكلمون في المهد

٥١

وبعد هذه الآيات البينات والحجج الواضحات أما أن لك أيها الإنسان الضعيف
أن تتأمل وتتفكر وتتذكر وتفتح عقلك للاعتبار في قدرة القهار

نشر الصبح على الدنيا سنهً وسقي الروض رحيقاً من نداء

واكتسى الروض من النور حلاً

الندى من فيض من ؟ والضحي من نور من ؟

أقبلت في بسمة الفجر الطيور تسكب الألحان عطراً في الزهور

تضع العش وتسعى في البكور

عيشها في رزق من ؟ وهي أيضاً من صنع من ؟

حوت الأرض أفانين الشجر بين ألوان وطول وقصر

وغصون وارقعات وثمر

منبت الأشجار من ؟ راسم الألوان من ؟

وترى الشمس عروس المشرق وجمال البدر عند الأفق

سابعاً في الطيلسان الأزرق

الدراري صنع من ؟ والسّموات لمن ؟

داعب النحل من الزهر شذاه وأحال الورد شهداً رباه

وبنت هندسة النمل قراه

مُرشد النحلة مَنْ ؟ ملهم النملة مَنْ ؟
الجنين استقبل الرزق الجديد وتوالى وهو في المهد السعيد

قبل أن تنبت أسنان الوليد

أطعمته يد مَنْ ؟ صوّرته يد مَنْ ؟

لم يا مخلوق أثرت الجحود ؟ كنت معدوماً فمن أين الوجود ؟
أهي صدفه أم رب ودود ؟

قبله في الكون مَنْ ؟ بعده في الملك مَنْ ؟

لوتناهيتم إلى سر الحياة وصنعتكم كائناتاً حياً نراه

لم نزد إلا يقيناً بالاله

وأخيراً أخني في الله أوصيك بهذه المعاني الغالية :

الله ربي لا أريدُ سواه	هل في الوجود حقيقةُ إله
الطيرُ والبدرُ من أنوار حكمته	والبرُّ والبحرُ فيضُ من عطايه
الطيرُ سبَّحه والوحشُ مَجَّده	والحوتُ كَبَّره والموجُ ناجاه
والنملُ على الصخور الصمِّ قدَّسه	والنحلُ يهتفُ حمداً في خلايه
والناسُ يعصونهُ جهراً فيسترهم	والعبدُ ينسى وربي ليس ينساه

ربُّ الوجودِ تعالى أَن يُحِيطَ بِهِ	علمُ العبادِ بلا شركِ عبدناهُ
هو الذي خَلَقَ الأشياءَ من عدمٍ	وكلُّ شيءٍ يُسَبِّحُهُ وَيَخْشَاهُ
انظرْ تأمَّلْ تَفَكَّرْ سوفَ تَعْرِفُهُ	في كلِّ شيءٍ وتوقن أنه اللهُ
فكلُّ مَنْ حولنا فسينا يُذَكِّرنا	إذا نسينا بأنَّ الخالقَ اللهُ
مَنْ الذي يسمع الشكوى ويرفعها	ويستجيبُ لحقِّ اللهِ إلَّاهُ
من يكشفُ سوءَ غيرِ اللهِ مُوجِدنا	إن مَسَّنَا الضرُّ مَنْ ينجينا إلَّاهُ
اختص باسمِ فلا يحظي به أحدٌ	وذلك الاسمُ معروفٌ هو اللهُ
اللهُ اللهُ الذي سجدتْ له	العوالمُ لا معبودَ إلَّاهُ

اللهم اجعلنا من الذين يذكرونك قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والأرض .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا
محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا - .

فهرس المتكلمون في المهد

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
توأم برأسين وجسد واحد	٨
الله	١٢
المتكلمون في المهد - عيسى ابن مريم - عليه السلام -	١٨
صاحب جريج	٢٩
ابن امرأة الأخدود	٣٢
الصبي الرضيع	٣٦
ابن ماشطة بنت فرعون	٣٧
شاهد يوسف - عليه السلام -	٣٩
ابن رجل اليمامة	٤٨
الفهرس	٥٥

دار النضر للطباعة والإستلامية
٢ - شتتبع نشطاطى شتبر القسامرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١

دار الفکر للطباعة

القاهرة

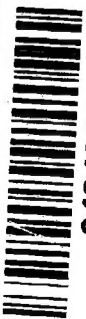
خلف الجامع الأزهر - القاهرة

ت : ٥١٤٧٢٤٨ - ٥١٤٧١٧٩

٠١٠١٤٦٣١٢٣

8
2

Bibliotheca Alexandrina



0424032